العمل الموجّه الرابع

قصيدة يا أيها الريح الجنوب تحمّلى

للأمير عبد القادر الجزائرى

يـا أيـهـا الريـح الجـنـوب تـحـمّلي ... مـنّـي تـحـيّـة مـغـرم وتـجـمّـلي
واقر السلام أهيل ودّي وانثري ... مـن طـيـب مـا حمّلت ريح قرنـقل
خـلّي خـيـام بـنـي الكرام وخبّري ... أنـي أبـيـتُ بـحـرقـة وتـبـلبـل
جفناي قد ألفا السهاد لبينكم ... فـلذا غدا طيبُ المنام بمعزل
كـم ليـلةٍ قـد بـتّـهـا مـتـحسّرا ... كـمبيت أرمدَ في شقا وتململ
سـهـران ذا حـزنٍ تـطـاول ليـله ... فـمتى أرى ليلي بوصلي ينجلي
مـاذا يـضـرّ أحـبّـتـي لو أرسلوا ... طـيـف المـنـام يزورني بتمثّل
كـلّ الذي ألقـاه في جنب الهوى ... سـهلٌ سوى بين الحبيب الأفضل
أدّي الأمـانـة يـا جـنـوب وغـايـتي ... في جمع شملي يا نسيم الشمأل
واهدي إلى من بالرياض حديثهم ... أذكـى وأحـلى مـن عبير قرنـفُل
تـهـدي إلي طـرائفـا وظـرائفـا ... ولطـائفـاً بـتـعـطّـر وتـعـسّـل
حـاولتُ نـفـسي الصبر عنهم قيل لي ... مـه ذا مـحـالٌ ويـك عـنـه تـحوّل
كـيـف التـصـبّـر عـنـهم وهم همُ ... أربـابُ عـهـدي بـالعقود الكمّل
أيحلّ ريب الدهر ما عقدوا وكم ... حـلّت عـقودي بـالمنى المتخيّل
تـفـديـهم نـفسي وتـفدي أرضـهم ... أزكى المـنـازل يـا لهـا من منزل
أفـدي أنـاساً ليس يدعى غيرهم ... حـاشـا العصابـة والطراز الأول
يـكـفـيـهم شرفـا وفـخراً بـاقيـا ... حـمـل اللواء الهـاشـمي الأطول
قـد خـصّـهـم واختصّهم واختارهم ... رب الأنـام لذا بـغـيـر تـعـمّـل
هـم بـالمـديـح أحـق لكـن ربـمـا ... ضـاعـت حـقـوق بـالعـدا والعـذل
إن غـيـرهـم بـالمـال شحّ ومـا سخا ... جـادوا بـبـذل النـفس دون تـعلّل
البـاذلون نـفـوسـهـم ونـفـيسـهم ... فـي حـبّ مـالكنـا العظيم الأجلل
كم يضحك الرحمن من فعلاتهم ... يـوم الكـريـهـة نـعم فـعل الكمّل
الصـادقـون الصـابـرون لدى الوغى ... الحـامـلـون لكـلّ مـا لم يـحـمـل
إن غـيـرهـم نـال اللذائذ مسرفاً ... هـم يـبـتـغـون قـراع كـتـب الجحفل

وألذّ شيء عندهم لحم العدا ودماؤهم كزلال عذب المنهل
النازلون بكلّ ضنك ضيّق رغما على الاعدا بغير تهوّل
لا يعرف الشكوى صغيرٌ منهم ابدا ولا البلوى إذا ما يصطلي
ما منهم إلا شجاعٌ قارعٌ أو بارعٌ في كل فعل مجمل
كم نافسوا كم سارعوا كم سابقوا من سابق لفضائل وتفضل
كم حاربوا كم ضاربوا كم غالبوا أقوى العداة بكثرة وتموّل
كم صابروا كم كابروا كم غادروا أعتى أعاديهم كعصف مؤكل
كم جاهدوا كم طاردوا وتجلّدوا للنائبات بصارم وبمقول
كم قاتلوا كم طاولوا كم ما حلوا من جيش كفرٍ باقتحام الجحفل
كم أدلجوا كم أزعجوا كم أسرجوا بتسارعٍ للموت لا بتمهّل
كم شرّدوا كم بدّدوا وتعوّدوا تشتيت كل كتيبةٍ بالصيقل
يوم الوغى يوم المسرّة عندهم عند الصياح له مشوا بتهلّل
فدماؤهم وسيوفهم مسفوحةٌ ممسوحة بثياب كل مجندل
لا يحزنون لهالك بل عندهم موت الشهادة غبطة المتحوّل
ما الموت بالبيض الرقاق نقيصةٌ والنقص عندهم بموت الهمّل
يا ربّ إنّك في الجهاد أقمتم فبكلّ خيرٍ عنهم فتفضّل
يا رب يا ربّ البرايا زدهم صبرا ونصرا دائما بتكمّل
وافتح لهم مولاي فتحا بيتنا واغفر وسامح يا إلهي عجّل
يا رب يا مولاي وابقهم قذي في عين من هو كافرٌ بالمرسل
وتجاوزن مولاي عن هفواتهم والطف بهم في كل أمر منزل
يا رب واشملهم بعفوٍ دائم كن راضيا عنهم رضا المتفضل
يا ربّ لا تترك وضيعاً فيهم يا رب واشملهم بخير تشمّل
متوسلا مولاي في ذا كلّه متشفعا بشفيع كل مكمّل
وجهت وجهي في الأمور جميعها لمحمّد غيث الندا المسترسل
صلى عليه الله ما سحّ الحيا والآل ما سيف سطا في الجحفل

موضوع القصيدة:

هي قصيدة منفى وشوق، تعبر عن مشاعر الحُزن والحنين العميق إلى الوطن والإخوة في خيام بني الكرام. تبدأ القصيدة بنداء لريح الجنوب التي تحمل الروائح العطرة كريح القرنفل، لتكون رسولاً يحمل تحية مشبعة بالحب والاشتياق، ينثر السلام ويخبر عن حالة الشاعر الذي يمضي لياليه في وجع وغربة متألمًا من بعد الأحبة والفرقة.

القصيدة في قسمها الأول تُجسد المعاناة النفسية والحسرة على الأحبة، تعبر عن السهر والحزن وطول الليالي، كما تستدعي صور الطيف في المنام المتمثل للأحباب. قسمها الثاني يتحول إلى مديح وبطولات بني الكرام؛ يظهر تقدير الشاعر لهم وتفانيه في الدفاع عن الوطن والنبل في مواجهة العدو، ويركز على قيم الصبر، الشجاعة، والإخلاص في الجهاد.

كما يظهر في القصيدة بُعدها الديني والأخلاقي حيث يدعو الأمير الرحمن لنصرة المجاهدين وحمايتهم، مع تمجيد الشهادة والموت في سبيل الله، وهو تعبير عن الروح الوطنية الصوفية التي تجمع بين الفداء والثبات في وجه الظلم.

في المجمل، القصيدة تمزج بين الإحساس الشعري العاطفي المرهف والروح الوطنية الحماسية، مع أسلوب بلاغي راقٍ يعكس اعتزاز الأمير بفروسية أصحابه وإيمانه العميق، وتُعد رمزًا لطموح البعث والإحياء في الشعر الجزائري والمغاربي الحديث.

ملامح انتماء القصيدة لاتجاه البعث والإحياء:

- استلهام شكل القصيدة العربية القديمة:
سار الأمير عبد القادر على نهج كبار الشعراء العباسيين كشوقي والمتنبي، فجاءت الألفاظ جزلة، والتراكيب محكمة، والبحر والقافية محافظين على الوزن الخليلي التقليدي.
- الحنين إلى الوطن وتمجيد البطولة:
عكست القصيدة تجربة المنفى، فمزج فيها الشاعر بين **الوجدان الفردي والهمّ الوطني**، وهي سمة من سمات الاتجاه الإحيائي الذي يجعل الشعر صدى لقضايا الأمة.
- الاعتماد على البيان والبديع:
وظّف المحسنات اللفظية من استعارات وتشبيهات وكنايات وبديع لفظي، متأثرًا بلغة الشعر العربي القديم، تأكيدًا لرابطته بالتراث البلاغي.
- الموضوع الأخلاقي والديني:
في الأبيات الأخيرة يتوجه بالدعاء إلى الله لنصرة المجاهدين والمجاهدين الصادقين، مبرزًا البعد الإيماني في خدمة القيم الوطنية، وهي سمة مركزية في شعر الإحياء.
- الطابع الخطابي والبطولي:
بعد المقطوعة العاطفية الأولى، تحوّل الخطاب الشعري إلى تمجيد للمجاهدين وشهداء الجزائر، مستعيدًا صور الفروسية والبطولة الإسلامية التي ميّزت الشعر العربي القديم.

دلالات الانتماء للمغرب العربي الإحيائي

- القصيدة تمثل صدى لنهضة الشعر العربي في الجزائر والمغرب العربي، في إطار مقاومة الاستعمار والحنين إلى الهوية الأصيلة.
- ركّز الشاعر على التواصل الروحي والثقافي مع الحضارة الإسلامية، فكان شعره امتدادًا لمدرسة الإحياء التي جسّدها البارودي وشوقي في المشرق، وعبّر عنها الأمير عبد القادر في المغرب العربي بخصوصية نضالية.

- يجمع الشاعر بين روح المجاهد والشاعر، إذ جعل الشعر وسيلة للمقاومة الثقافية مثلما كان السيف وسيلة للمقاومة العسكرية.